سؤال العقل في فلسفة جيلبرت رايل

The question of mind in the philosophy of Gilbert Ryle

الباحث: هلال يحي[1]*/ إشراف: أد. بوعرفة عبد القادر[2]

1&2 (مختبر الأبعاد القيمية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، الجزائر)

تاريخ الارسال: 2019/05/18 تاريخ القبول: 2019/09/05 تاريخ النشر: 2020/02/16

ملخص باللغة العربية

إن أبحاث جيبلبرت رايل تُطرح ضمن إشكالات جديدة تتمحور حول مدى استخدام اللغة، وعلاقتها بمشكلات فلسفية عامة، والميتافيزيقا تحديدا، كنماذج متميّزة من الأسئلة الخاصة بفلسفة التحليل المعاصرة. لهذا أحدثت الفلسفة التحليلية ثورة في تاريخ الفكر الفلسفي؛ تمثلت في الانتقال من البحث في مجال الموضوعات والأشياء، إلى مجال آخر يبحث في الألفاظ والعبارات، التي يستخدمها العلماء والفلاسفة، ونقصد انتقال من البحث في الوجود من حيث هو موجود، والجوهر واللامتناهي إلى البحث في العبارات والألفاظ التي يقولها الفلاسفة، وتحليلها لبيان ما له معنى، وما ليس له معنى. وهو اعتراف ضمني بأن القرن العشرين هو عصر الكلمات والرموز بقدر ما هو مضاد للميتافيزيقا بكل أشكالها.

كلمات مفتاحية: العقل؛ المفهوم؛ التحليل؛ المعنى؛ اللغة.

Abstract (English):

Gilbert Ryle's research poses new questions about the extent to which language is used, its relationship to general philosophical problems, and metaphysics in particular, as distinct models of questions of contemporary analytic philosophy. This is why the analytical philosophy revolutionized the history of philosophical thought. It consisted of the transition from research in the field of subjects and objects to another field of research in words and phrases used by scientists and philosophers. We mean the transition from the search to exist in terms of the existing, the essence and the infinity to the search of phrases and the words that philosophers say, and analyze them to show what makes sense, and what is meaningless. It is an implicit recognition that the twentieth century is the age of words and symbols as much as it is anti-metaphysical in all its forms.

Keywords: mind; concept; analysis; meaning; language.

مقدمة:

بات من الجلي في تاريخ الفلسفة أن لكل عصر مواضيعه وأسئلته الرئيسة والخاصة، يفرضها الواقع والتطور العلمي والفكري، وإن تشابهات من حيث القضايا مع ما كان مألوفا في الماضي، غير أن صيغ الطرح والمعالجة دوما تكون بنت زمانها، تتحكم فيها النّزعة والمنهج إلى أبعد الحدود.

عندما يُعيد جيلبرت رايل Gilbert Ryle * تحيين سؤال ما العقل؟ فهو لا يريد إثارة الجدل من جديد حول ماهية العقل وطبيعته، بقدر ما يريد البحث عن مفهوم وظيفي له في زمن أصبحت المفاهيم

*- الباحث المرسل: hellalyahia@gmail.com

* Gilbert Ryle (1900-1976) was born in Brighton, East Sussex, England, in 1974. He taught metaphysics at Wainfleet College, Oxford University, from 1945 to 1968, and edited the Mind philosophical journal in 1947. Was a British philosopher, an analytical proponent of the philosopher Wittgenstein, was particularly influenced by language issues. He

تتطور وتتغير بتسارع مذهل، مما يتطلب من كل جيل فلسفي إعادة تحيين المفاهيم وفق ما يتطلبه العصر ومستجداته.

اشتهر بأبحاثه في مسائل العقل خاصة، وأعطى مفهوما جديدا للعقل يكاد يتجه نحو السُلوكية، وهو نفسه حذر من إمكانية الخلط بين مفهومه وما تحدث عنه كل من سكينرSkiner وواطسن J.Watson، وقد قال رايل عن ذلك الاشتباه (G,Ryle: 2002,327): "**المنحى العام لهذا الكتاب سوف، بلا شك وبدون أذى، يختلط مع 'السلوكية'**."

إن أبحاث جيبلبرت رايل تُطرح ضمن إشكالات جديدة تتمحور حول مدى استخدام اللغة، وعلاقتها بمشكلات فلسفية عامة، والميتافيزيقا تحديدا، كنماذج متميّزة من الأسئلة الخاصة بفلسفة التحليل المعاصرة. لهذا أحدثت الفلسفة التحليلية ثورة في تاريخ الفكر الفلسفي؛ تمثلت في الانتقال من البحث في مجال الموضوعات والأشياء، إلى مجال آخر يبحث في الألفاظ والعبارات، التي يستخدمها العلماء والفلاسفة، ونقصد انتقال من البحث في الوجود من حيث هو موجود، والجوهر واللامتناهي إلى البحث في العبارات والألفاظ التي يقولها الفلاسفة، وتحليلها لبيان ما له معنى، وما ليس له معنى. وهو اعتراف ضمني بأن القرن العشرين هو عصر الكلمات والرموز بقدر ما هو مضاد للميتافيزيقا بكل أشكالها.

وبالنظر أيضا، إلى ما ساد الفكر الفلسفي الغربي مع بداية القرن العشرين، وإلى غاية يومنا هذا، هو ظهور **العقل** كواحد من المجالات المثيرة والمهمة التي يتناولها الباحثون بالدّراسة، والفهم والنقد؛ وهو ما أصبح يسمى اليوم "**فلسفة العقل**" باعتبارها فرعا فلسفيا جديدا يعبر عن راهنية طموحات الفلسفة التحليلية المعاصرة.

تعتبر "**فلسفة العقل**" من أحدث فروع الفلسفة، وتحتل مناقشة قضاياها ومشكلاتها في الفترة الأخيرة مكان الصدارة في الفلسفة المعاصرة. وعليه، سيكون بحثنا منصبا على عرض أهم القضايا والمشكلات التي تناولتها، كما سنحدد بقدر كبير من اليقين بداية "فلسفة العقل" المعاصرة كانت

---

was mainly known for his critique of the idea of Cartesianism, which he coined as "the ghost in the machine". He earned his fame for his book The Concept of Reason (1949), in which he said that many philosophical dilemmas and Western theories arose from confusion in the interpretation of linguistic terms. His idea was applied to the theories of the relationship between mind and body.

His Books :

The Concept of Mind (1949).

Dilemmas. The Tarner Lectures 1953 (1954).

Plato's Progress (1966)

Contemporary Aspects of Philosophy (1977).

On Thinking (1979).

بظهور كتاب جلبرت رايل خاصة مع كتابه "**مفهوم العقل**" 1949، وكذا كتاب "**بحوث فلسفية**" "لفيدجنشتين" عام 1953.

وجدنا في فلسفة "رايل" أنموذجا مثاليا للكشف عن المجالات التي خص فيها العقل بالدّراسة، والذي سيُبنى على محاولة الإحاطة **بإشكالية** مفادها التحليل والمعالجة الجديدة والمستندة على قضايا العقل من حيث المدلولات اللغوية، ضمن مجالات الذكاء الاصطناعي. حيث نجد "رايل" كشف عن استخدامها بطريقة جديدة، في معالجة قضاياه وهي **التحليل اللغوي للمفاهيم والكلمات العقلية**؛ والتي من شأنها أن تُغير مسار البحث الفلسفي والعلمي في العقل تغييرا هاما ومفصليا، حيث أن التركيز على فلسفة "رايل" يؤسس للإجابات عن أسئلة من قبيل ما العقل؟ وكيف يعمل؟ وما علاقة هذه الأسئلة بعلوم الأعصاب وبالعلوم المعرفية وعليه سنتناول البحث في **إشكالية مفهوم العقل عند "رايل" من حيث علاقتها بالمعنى**، فالمعنى لا يتوقف على كيانات Entites تدل عليها، وليس دليل لأي شيء كان.

كانت منطلقات رايل في هذا **الميدان الفلسفي التحليلي والتي سنؤسس لامتداداتها العلمية** هو ما سماه **أخطاء المقولة**، والتي سنطرح من خلالها صورة الفلسفة الجديدة التي تهتم بتحليل المفاهيم العقلية مثل القصدية والوعي والإدراك الحسي. ورغم عدم تجريبية هذه المفاهيم إلاّ أنه لا يمكن إنكار عدم استفادتها من نتائج العلوم ومناهجها خاصة فيما يتعلق بما يسمى **الذكاء الاصطناعي**، ولكن حرصا على إظهار خصوصية المعالجة والمنهج الفلسفي لقضايا العقل من وجهة تحليلية، وهي أن رايل جاء ليتخلى نهائيا عن فهم اللغة (أي المعنى) وفي الوقت ذاته، محاولا وضع الطريقة الملائمة لمهمة الفلسفة (G,Ryle: 2005,66).

ويُعطي رايل مثلا توضيحيا على تلك المشكلة من خلال هذه المماثلة العضوية في جسم الإنسان (G,Ryle:2002,12) :" **ما يريده العقل، والساقين، والذراعين، واللسان ينفذ؛ ما يصيب الأذن والعين له علاقة بما يدركه العقل؛ إن الكؤوس والابتسامات تخون الحالة المزاجية للعقل وتؤدي المآسي الجسدية، كما يُؤمل، إلى تحسن معنوي.**"

ويمكن تحديد تلك المهمة التي تكمن فيما صرح به هو أصلا (G, Ryle :1961, 236):" **علينا اقتراح مختلف مغالطات فلسفية عميقة، لاعتقاد وجود معانيها هناك في الأشياء، التي نتعامل معها قبل أن نجد الكلمات المناسبة لها، أو أنها موجودة في العقل أو الفهم، قبل أن نجد كلمات للتعبير عنها.**"

ولعل في فهم رايل لمقولة العقل هو ما يكشف لنا عن أهم هذه المغالطات الفلسفية على مستوى الثنائية الديكارتية، وهو الذي **سيفتح المجال في الوقت نفسه أمام بحوث علمية** لوضع صيغ جديدة لعمليات التفكير والوعي ومختلف أشكال الذكاء، الذي وسمه بأخطاء المقولة.

واغلب تلك الأخطاء تُرد إلى فلسفة ديكارت، الذي هيمن على الفكر الفلسفي بثنائياته التي فصل فيها بين الروح والجسد، ضمن ثنائية المقدس والمدنس، ويبدو أن هذا الأحكام المتعالية عن الروح والعقل جعلت رايل يعتقد بأن ديكارت تحول إلى أسطورة في الفكر الفلسفي نظرا لثنائياته المبنية على التأمل الميتافزيقي، وعليه يحاول هو قدر الإمكان وضع قطيعة إبستمية مع هذا المذهب القطعي الأسطوري (G,Ryle :2002,11) : "**هناك عقيدة حول طبيعة ومكان العقول التي هي كذلك السائدة بين المنظرين وحتى بين الأشخاص العاديين التي تستحق أن توصف بأنها النظرية الرسمية. يشترك معظم الفلاسفة وعلماء النفس والمدرسين الدينيين، مع بعض التحفظات الطفيفة، في مقالاتهم الرئيسة، وعلى الرغم من أنهم يعترفون ببعض الصعوبات النظرية في ذلك، إلا أنهم يميلون إلى افتراض أنه يمكن التغلب عليها دون إجراء تعديلات جدية على بنية النظرية. سنناقش هنا أن المبادئ الأساسية للعقيدة غير سليمة وتتعارض مع كامل ما نعرفه عن العقول عندما لا نتكهن بها.**"

Methodes الطرق:

تحليل سؤال العقل في فلسفة "**رايل**" يفرض علينا استعمال منهج المقاربة، ونقصد وضع النصوص وجها لوجه، وسنبدأها وفق الوتيرة الآتية:

أخطاء الفئة: Category Mistak

1/ خطأ الفئة : قراءة فلسفية

لقد كتب رايل ما سماه "**أسطورة ديكارت**"، والتي مضمونها وجود سلسلة من الحوادث العقلية لها وجودها في عالم خاص بها. وأنها مختلفة عن الجسم والأكثر من ذلك أن بينها تأثيرات سببية، وأنها أيضا مختلفة عن الجسد، فهي ذات أثر سببي متبادل. وقد كان لهذه الأسطورة أنصار كثيرون من الفلاسفة الذين خاضوا في مسألة النفس والجسد، على مسار ديكارت نفسه R.Descartes ، فتوحدت نظرتهم وتعليقاتهم بل ومذاهبهم حول علاقة العالمين فيما بينهما. ونقصد بذلك العالم المادي والعالم الذهني. ومن أبرز وجوه هذه العلاقة بين النفس والجسد هو تصريح ديكارت نفسه **في التمييز** بينهما(R,Descartes: 1966, 60): "**إذ نحن نعرف أن نفوسنا تختلف كثيرا عن الجسم، ونفهم بهذا جيدا الأسباب التي تبين أنها ذات طبيعة مستقلة عنه.**" وحيث لا ينفي ديكارت كذلك عدم ارتباطهما (R,Descartes: 1994, 77): "**فالنفس مرتبطة بكل أعضاء الجسم بأكمله، فهي تشكل مع الجسم وحدة متكاملة للإنسان**". وهنا لا يقصد ديكارت بالتّكامل الوجودي بل بالتكامل الوظيفي، كون النفس هي المحرك الذي يُحرك كل أجزاء الجسد، لأن النفس ذات غير قابلة للفناء عكس الجسد الذي يفنى، وفناء الجسد لا يُنقص من كمال النفس ولا وجودها.وأمام هذه النظرة المزدوجة لثنائية النفس والجسد، توصل ديكارت لمقولة أساسية تحدد من خلالها الكثير من

التوجهات الفلسفية والنفسية؛ هذه المقولة تضمنتها رسالته إلى إليزابيث Elisabethعام 1643. يشرح فيها تمايز النفس عن الجسد (R,Descartes: 1964, 96): " **فالجسم له مفهوم الامتداد ويتبع بالشكل والحركة. لكن، النفس ليست سوى التفكير".** وقد احتلت مناقشة التأثير بين هذين الجوهرين مكانة بارزة في الطرح الميتافيزيقي، الذي وضعه ديكارت.(R,Descartes: 1966, 79) :" **الجسم كآلة صنعتها يد الله وهي منظمة تنظيما جيدا، وينتج عنها حركات محكمة أفضل من أية آلة أبدعها الإنسان."** ونظرته للجسد على أنه آلة، يُفضي إلى القول بأن النفس هي التي تحركها، والتي سماها بالشبح، فكانت الثنائية تعرف " الشبح داخل الآلة. "The Ghost in the Machine" (R,Descartes: 1964, 95): "**فكل حركة إرادية يقوم بها الجسم يقف وراءها شيء خفي وصامت. "**

لقد برزت مناقشات عديدة حول الطرح الديكارتي والتي فتحت آفاقا كبيرة وجديدة على الفلاسفة خاصة منهم التحليلين في **طريقتهم للتحليل وهم متأثرون بنزعتهم العلمية لهذا فالقراءة الفلسفية للثنائية أصبحت تشكل عائقا أمام الوضع الذي ينبغي أن تطرح به علاقة النفس بالجسد**، وكذا تحديدهم مفاهيم تتعلق بالعقل (الذهن)، كمقولة تتحدد من خلالها طبيعة الحالات الذهنية، ومقابلتها بالحالات الفيزيقية وقد انتقد رايل الثنائية بما سماه خطأ المقولة في أهم مستويين:

<u>المستوى الأول:</u> يتعلق بإعادة النظر في القول بأن العقل جوهر مستقل عن الجسم؛ وهو مستوى هدم فيه رايل الأسطورة أو الدغمائية. أما **<u>المستوى الثاني</u>**: يجب إنكار رايل وجود عالم خاص، يشمل أحداث أو حالات ذهنية، بقدر ما هناك مجرد ميولات أو استعدادات لسلوك خارجي ما. (G,Ryle :2005,96-97): " **عندما ننعت شخصا ما بوصف ما؛ وصف من قبيل محتال ،حذر، غير حذر، هذا الوصف لا يُنسب إلى معرفة حقيقة ما، أو اللامبالاة بها لكن بشكل أوضح؛ ينسب لمهاراته أو عدم مهاراته للقيام بشيء ما."** وسيؤول هذا إلى نتيجة أخرى، وهي نتيجة هامة جدا توصلت إليها بحوث ودراسات علم النفس السلوكي.

وعليه، يمكن أن نؤسس لرد رايل على القول باستقلالية النفس كجوهر مستقل عن الجسم بعبارة مشهورة له " **دغماتية الشبح في الآلة"**(G,Ryle:2005,81) : "**وأن النظرية التي قام عليها تصور ديكارت خاطئة على مستوى المبادئ، وليس على مستوى التفاصيل."** ونعتبر هذا الرد انتقادا صريحا لفهم ديكارت السيئ للثنائية،(G,Ryle:2005,89): " **إن ديكارت فهم الثنائية بشكل سيئ فبدل أن يطلب بأي مقاييس نميز فعلا توجيه الفكر و أنه فهم مشكلته بأنها لم تكن مشكلة مكانيك."** ومن هنا تنشأ حسب ما سمّاها رايل خطأ الفئة. Category Mistak فالعقل ليس جوهرا وشيئا من المقولة نفسها الخاصة بالجسم كما ادعى ديكارت.

وقد **اعتمد رايل** شرحا لهذه الاعتراضات الخاصة، (G,Ryle:2009,6) : الشخص الذي يزور جامعة أكسفورد، فعندما يشاهد عدد من بناياتها ومكاتبها وإداراتها، سيتساءل أين الجامعة؟،(G,Ryle:2009,17) : "**فالجامعة مقولة لا تنتمي إلى المقولة نفسها التي تنتمي إليها مقولة المعامل والمكتبات**". وهنا الخطأ؛ **من وجهة نظر رايل التحليلية**، فالجامعة في هذا المثال ليست شيئا يضاف إلى عناصرها وإنما هي اسم يشمل عناصره. وهي لا تنتمي إلى المقولة نفسها الخاصة بهياكلها ومبانيها وطلبتها. وإذا أسقطنا هذا المثال على الثنائية الديكارتية نجدها تقوم على النفس والجسد كمقولة ثنائية، تفرض وجود أسباب ميكانيكية آلية بما هي خاصة بالجسم، وأسباب عقلية للحركات الجسمية. والنتيجة التي توصل إليها رايل (G,Ryle:1954, 103):" **أن العقل لا يدل على شيء من أي نوع سواء أكان فيزيائيا أو غير فيزيائي، إنه مجرد اسم نستخدمه للدلالة على نماذج السلوك، واستعداداته بطرق معينة. إذ لا نكشف عن الحالات العقلية (الذهنية) إلا من خلال التصرف. لأنه حتى الآن لا نعرف كيف تتغير سلسلة العمليات عند نقطة معينة من وجود رو ابط في الجسم إلى آخر ارتباطات في العقل**".

2/ خطأ الفئة: قراءة تحليلية

لقد اعتمد رايل رفضه للثنائية فكان من الطبيعي مطالبتهم بالإجابة عن بعض الأسئلة المربكة. من أجل قبول نظريتهم والتي منها: هل حدث أن أخفق العقل بالاتصال بالجسد؟ هل يتم إلحاق العقل بالجسد في مرحلة تشكل الجنين؟ (G,Ryle:) 2005,60)

نفهم بهذا؛ اقتراب النظرة الجديدة للعقل التي كانت مع رايل مع أحدث ما قامت عليه نظرية في اللغة داخل حقل الدراسات الانجلوسكسونية، وهي نظرية أفعال الكلام. فالعقل عند رايل هو مجرد نماذج السلوك واللغة عند جون سيرل Searle، هي الكشف عن قدرات معينة للتصرف في ظرف من الظروف(J,Searle :1988,52) : "**نظرية للكلام هي نظرية الحركة لأن التلفظ هو شكل من أشكال السلوك محكوم بقواعد. وإذا كان كذلك فإنه يملك إذن خطوط شكلية وهو قابل لدراسة مستقلة**." إن الفلاسفة الذين اهتموا بالثنائية، يهتمون بالنفس أو الروح، على أنها كيانات أثيرية ومثالية. **وهم يقعون في خطأ نحوي** عندما يربكون المعنى، حيث يسندون معنى موضوع مع الشيء نفسه. فهذا الخطأ النحوي خطير ويوقعنا في نتائج ميتافيزيقية. (P,Engel:1997,95) وكان هذا دافعا لرفض وإنكار للجوهر الروحي، الذي هو النفس كما جعله يرفض كذلك أي أحداث أو حالات ذهنية، متى نظرنا إليها كأحداث في عالم ثان. (G,Ryle:2009,161) وعلى مستوى المعنى؛ يثبت رايل محاولته في تبيين عدم اقتران العبارتين(G,Ryle:2009,12):" **عبارة يوجد سلسلة ذهنية وعبارة يوجد سلسلة فيزيقية لا يمكن ربطهما بالمعنى نفسه، وأن أي محاولة لتنسيقها أو العمل بها ليس لها أي معنى.**" أيضا أمام عجزها عن تفسير ما يجري في العقول الأخرى تظهر لنا صعوبة

أخرى، تتعلق بغموض الوعي عندما نرجعه إلى العقل، الذي تخلصنا منه؛ معتمدين في ذلك على السلوكية المنطقية مع رايل **(خطأ المقولة)** يضيف رايل(G,Ryle:2009,82): "**فكيف أمكننا الحديث عن مكان لهذا الوعي، في شيء ما اسمه العقل؟ إنه على الأقل لا شيء من وجهة النظر الفيزيائية الخالصة.**"

اعتمدنا على هذه المماثلة على أساس أن رايل لا يعني بقوله عدم وجود عمليات ذهنية؛ ولكن يحرص على عدم تصنيف هذه المقولة في الفئة نفسها، حيث توجد عمليات فيزيقية (G,Ryle:2009,23):" **أنا لا أنكر وجود عمليات عقلية حيث أن إجراء عملية حسابية كالقسمة هي عملية عقلية ولكن القول إن عبارة توجد عمليات عقلية لا تعني نوع الشيء الذي تعنيه عبارة عمليات فيزيقية وعليه؛ ليس من المعقول أن نربط بينهما أو نفصلهما**".

فعطف العبارتين: يوجد أسباب آلية للحركات الجسدية وأسباب ذهنية للحركات الجسدية عملية محالة. ولكن يجب أن نلاحظ(G,Ryle:2009,17) : **"أن الحجة لن تثبت أن أية قضية من القضايا المعطوفة على نحو غير منطقي محالة في حد ذاتها."**

هذا التمييز، يجعلنا نفهم فهما في شكل حكم مفاده أن نظرة رايل لثنائية النفس والجسد تندرج ضمن ما يسمى التحليل المفاهيمي Analyse Conceptuelle، حيث كان موقفه من الميتافيزيقا التي لم يتقاسمها مع مواقف معاصريه، الذين كانوا ضد الميتافيزيقا .

وهو ما تضمنه عمله العمدة بين مؤلفاته " **مفهوم العقل** " والذي كان-فيما نرى-عمل يكمن في وضع جغرافيا لمنطق المفاهيم الخاصة بالحالات الذهنية المرتبطة بالإرادة والتخيل ومعرفة الذات. **هذه المفاهيم، حررها رايل من عقيدة "الشبح في الآلة".** وقد تميزت خطوة رايل هذه؛ بكون منطلقها خطوة فلسفية ثم جعلها خطوة تحليلية؛ لأنها تتألف انطلاقا من اللغة وهي تنتقل إلى إحداث انتقاء محتمل للأحكام المسبقة والحدس من التجربة المشتركة. (G,Ryle:2009,70)

3/ خطأ الفئة: قراءة إبستمولوجية (كوجيتو الآلة): النتائج Result

لقد أحدث هذين القطبين شرخا كبيرا داخل الفلسفة التحليلية؛ عندما قدما في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين صورا جديدة للسلوكية، تتفق مع سلوكية واطسن في أصولها وتختلف معها في فروعها، وحيث يطعن رايل في سلوكيته المنطقية الجديدة من جهة في مفهوم جوهر روحي، ويعرف أفعال النفس على أنها سلوك بطريقة معينة.J.N، (Missa: 1993, 29). فلم يعد الحديث إلاّ على انقلاب مفاهيمي ضد خطأ مقولة العقل.

3-1/ نظرية الهوية: المخ بدل العقل.

العلاقة بين النفس والدماغ هي علاقة هُوية، وأحيانا تسمى النظرية الذاتية، فإذا كان "رايل" قد حاول بتصوره للعقل كاستعداد للسلوك، والتغلب على الصعوبات التي واجهت سلوكية "واطسون" التي أوجدت هُوية بين النفس والسلوك الفعلي؛ فإنه لم يفلح في تفسير التصورات الإدراكية كالمعرفة والاعتقاد والفهم

(J.N,Missa: 1993, 29):'**لهذا تعتبر "نظرية الهوية" مجالا يفسر به كل الظواهر النفسية والعقلية ومؤدى هذا هو أن النفس هي الدماغ والدماغ هو النفس.'**

2-3/ الوظيفية (الآلة بدل المخ).

إنّ الوظيفية fonctionnalisme تعني كل ما يرتبط بوظائف الأعضاء، والتي تؤدّيها بشكل كامل. (A,Dozat:1971,313) حتى أنّ علم النفس الوظيفي يدرس المسارات الذهنية من زاوية ديناميكية بوصفها وسائل لبعض الغايات (أ.لالاند:2001، 440) . لهذا سيتحول الاهتمام إلى وظيفة الدماغ؛ أحد أطراف النزاع حول طبيعة العلاقة بين الدماغ والنفس،(J.N,Missa:1993,34): **"فالوظيفية حركة فلسفية جديدة ترفض أحد جوانب نظرية الهُوية، وترى أنه بإمكان لحالة عقلية أن تخرج من مادة دماغية بما في ذلك الآلة."**

إن مستوى الطرح بلغ درجة مهمة؛ وهي إقحام الحاسوب وعمليات البرمجة المرفقة إليه وسيزول نتيجة لهذا مفهوم الدماغ، حيث لا يزيد العقل في النظرية الوظيفية على أن يكون برنامجا كبرنامج الكمبيوتر، فالعقل بالنسبة للدماغ مثل البرنامج للكمبيوتر. (ص، إسماعيل: 2007، 204).

سيكون لهذه النتيجة **امتداداتها على المستوى الإبستمولوجي**، خاصة بما توصل إليه أحد أبرز الوظيفيين " ج .فودور J.Fodor " فيما يتعلق بالروابط بين الظواهر الطبيعية للجهاز العصبي، والظواهر النفسية أوالظواهرالعقلية (H,Gardner : 1993, 102). رغم أنه لم يتمكن أي طبيب أن يحدد موضعا للنفس في خلايا المخ، في المادة البيضاء أو المادة الرمادية في المخ، ورغم ذلك (J.N,Missa: 1993, 25):" يعترف الأطباء بوجود مواضع في المخ تحرك الجسم، كما تحرك الخيوط دمية الأراجيز."

لغرض حل هذه المعضلة سيبدي " فودور" ميلا إلى مفهوم **الآلة** الذي سيتسلل إلى علوم الأعصاب، الذكاء الاصطناعي والعلم الإدراكي؛ حيث أصبح يشكل حضورا لافتا إلى درجة أنه أقصى مفهوم الدماغ في حد ذاته في ارتباطه بالنفس. فمن وجهة نظره – فودور (H,Gardner : 1993, 102–) **"أن ما يربط النفس بالآلة سيكون بشكل أفضل ومتين، مما يربط النفس بالدماغ."**

3-3/اختبارتيورينغعرض آلان تيورينغ A. turing سنة1950 في مجلة العقل مقالا مضمونه أن آلة ما تفكر متى أمكن لها ذلك، عندما تقوم بمحادثة مطوّلة دون التقيد ببرنامج أُعد سلفا (آ، روبول ، ج، موشلار: 2003،11) كان هذا مجرد أمل "لتيورينغ". ورغم ذلك يمكن اعتباره نموذجا من نماذج الإخفاق النسبي للذكاء الاصطناعي، الذي يعتمد فيه "تيورينغ "على حاسوب "هال" الذي سيستطيع اجتياز اختبار تورينغ على أساس أن هذا الحاسوب يستطيع التفكير. والحكم هنا مستوحى من فيلم "أوديسا الفضاء" سنة 2001. (آ،روبول ، ج، موشلار: 2003،203) وقد جاء بديلا لحاسوب " مير"MIR عندما توقف عن العمل فكان الحاسوب "هال" الذي يصدر المواقف، وعمليات تفكير؛ ولكنها للأسف كانت إجرامية .(A. Pélissier: 1995,248):"تيورينغ" بمجرد حركة شفاه، نستطيع توجيه أوامر للآلة، وأن بإمكانها أن تنتج حركات تستجيب فيها لأي مطلب." وبتحقيقها لهذه الاستجابة ألا يعني هذا أنه اختزال للدماغ، بل وإقصائه كأداة للتفكير مرتبطة بالنفس.

مناقشة النتائج: Discussion

أصبح معلوما، أن الأمر لم يعد يتعلق بفصل ما هو فلسفي عما هو علمي، في بناء جهاز مفاهيمي للعلوم المعرفية. وعلى طريقة برتراند راسل الذي أجاب عن سؤال طرح عليه حول الاختلاف بين الفلسفة والعلم؛ حيث أجاب راسل على أن العلم هو ما نعرفه(B,Russel: 1962, 8):" **أن الأسئلة في الفلسفة تتحول إلى ميدان العلم.**"

وهذا ما يجعلنا نقر بأن هناك اختصاصات عديدة تتداخل فيما هو معرفي cognitif حتى أن كلمة cognation (A,duzat:1971,176):"**من الأصل اللاتيني** cognatio **والتي تعني رابط القرابة، لكل الأصول في من تربطهم فصيلة دم واحدة.**"

لقد كان الهدف الرئيس للعلوم المعرفية، هو بيان كيفية اشتغال الذهن البشري، أنطلاقا من فرضية الفيلسوف الأمريكي هيلاري بوتنام H. Putnam التي مفادها أنه رغم الاختلاف بين الدماغ البشري والآلات (الأول بيولوجي والثاني ميكانيكي أو إلكتروني) فإنه لا يوجد سبب يمنع من الحصول على النتائج نفسها. بمعنى؛ الحصول على كيفية الاشتغال نفسها. (آ، روبول ، ج، موشلار: ،2003 65)

يعدنا مجتمع المعرفة بآلات لن تكون مجرد منفذّة لأوامر الإنسان بشكل آلي؛ بل متعاونة معه ومكملة له في العديد من أنشطته، بل وحتى تتجاوزه في بعض الميادين. (ح،الباهي: 2012 ، 23). ويُستفاد من هذا التصور أن أصحاب الاختصاص في هذا الميدان نظروا إلى تشابه في الوظيفة بين كل من الدماغ وبين الآلة.

السبرانية: Cybernétique هل الآلة إنسان؟

سنحاول في هذه النقطة، الكشف عن مظاهر الثورة في مستوى التنافس الذي اكتسح العلوم المعرفية. فبينما كانت الحقيقة في مجال اتصال الإنسان بالآلة؛ لا تزيد عن تبادل حوار بين الفكر البشري والتفكير الاصطناعي -المفترض وجوده-أصبحت السبرانية Cybernétique تحدد موقعا لها، في صورة تمثيل ذات منحنيين **داخل ثنائية (الإنسان – الآلة) وهي ثنائية تشبه إلى حد ما ثنائية النفس والجسد**، اللغة والفكر؛ ليس على مستوى اللغة فقط؛ وإنما تتعداها إلى مستويات أخرى، قد تصل إلى الوعي. فالسبرانية في نصوص نوربرت وينر N . Weiner تعني (P. Cassous, Nogues: 2014, 14) :"**حقل أوسع، من كونها علم للاتصال.**"

لم تكن أعمال تيورينغ مقنعة إلى حد بعيد – من وجهة نظرنا – لأنها اعتمدت على اتجاه واحد أي من نقطة انطلاق، بدايتها الإنسان، ونهايتها الآلة؛ في سياق سؤال هل الإنسان آلة؟ بينما السبرانية، لم تلبث أن عكست هذا الاتجاه، حيث المنطلق هو الآلة وصولا إلى الكائن البشري.وحيث تحول السؤال إلى هل الآلة إنسان؟ وقد توج هذا السؤال بأن كان دافعا لبحوث أكاديمية شملت أعمال أسماء لامعة أبرزها هاينز فون فوريستر H.F. Forester مؤسس المخبر البيولوجي للحاسوبBCL - Biological computer laboratory – وكان هذا سنة 1958. (E. Andreewsky et R. Delorme: 2006, 14.)

إن الخروج من مستوى اللغة التي تجري بين الكائن البشري والكائن الاصطناعي إلى مستوى التأملات، هو ما تضمنه السبرانية، حيث أنها سلسلة تأملات على الحيوان، الإنسان، الآلة، وكذا تأسيس نحو

مشترك مطبق على الإنسان مثلما يطبق على الآلة، وفيه وصف الإنسان كآلة كما وصفت الآلة كأنها إنسان.(E, Andreewsky & R, Delorme: 2006, 14)

وكان مصطلح السبرانية عنوانا أقحمه نوربرت وينر Norbert weiner، (E,Andreewsky, &R, Delorme: 2006,13) وبرزت الأعمال حول هذا التخصص في شكل طموح وجريء، وكان هذا تحديدا في محاضرات "ماسي" Macy والتي تكونت من أعمال أسماء كبيرة مثل جريجوري باتيسون Bateson .G وجون فون نومان J.V.Neumann ونوربرت وينر من اختصاصات مختلفة والمواضيع التي طرحت هي في بعض جوانبها قريبة من التي طرحتها حلقة فيينا وكذا أعمال فون فوريستر H.F. Forester والذي كان من ضمن من ينشطون في حلقة السبرانية . Cercle Cybernétique (E. Andreewsky,R. Delorme:2006,14)

وقد عرفت السبرانية تطورات سريعة مثلها مثل باقي التخصصات الأخرى داخل العلوم المعرفية ولكن بدت الكثير من جوانب المنحى الجديد الذي جعل من السبرانية تنحو نحوا جديدا وخاصة مع فوريستر وحتى مع لاكان J.Lacan حيث طرح هذا الأخير مسألة تحليل نفسي Psychanlyse فيما يتعلق بنموذج آلة سبرانية Machine Cybernétique وكان هذا بدرجة تخيل لاكان بتمثيل الآلة للشيء الذي يعرف من خلاله الموضوع. (P. Cassous, Nogues: 2014, 117)

خاتمة:

تنبع قيمة هذا البحث من الآفاق التي فتحها لنا وهي آفاق ترتكز بالدرجة الأولى، على نتائج يتفاعل فيها ماهو ميتافيزيقي فلسفي مع ما هو فيزيائي-نفسي. بل وحتى بم يتعلق بالأعصاب وعملياته المعقدة وهذه الآفاق تظهر في شكل اهتمامات ما أصبح يسمى اليوم بالعلوم المعرفية وتخصصاتها التي اقتحمت دراسة العقل، ومعه أيضا حدود الحالات النفسية والعقلية في صورة سببية عقلية – فيزيائية أو غير فيزيائية. عموما يمكن حوصلة ما توصلنا إليه في شكل نقاط تماشيا مع مستويات الدراسة التي تم بها معالجة ثنائية النفس والجسد.

1- القول بجوهرين متمايزين تكون النفس بمثابة عالم مستقل بوجودها عن الجسم وأنها تستطيع أن تحركه فهي بمثابة الشبح في الآلة. وأن هذا القول لا معنى له من الناحية الابستمولوجية.

2- تحولت ثنائية المادية مقابل المثالية إلى ثنائية العقل والمادة، وأنه ينبغي الانتصار للأعمال التي ترد كل ما هو عقلي إلى ما هو مادي، فكانت سلوكية "واطسون" ميدانا تجريبيا حقق بداية هذا التحول.

3-التحول أصبح تطورا وقف من وراءه الطرح الفلسفي الأكسفوردي مع "رايل" في إنكار كل ما هو عقلي(نفسي) وأصبحت سلوكية واطسون ومعها الثنائية الديكارتية على المحك بظهور سلوكية جديدة وصفت بأنها سلوكية منطقية (لغوية)، ولم تعد النفس أو العقل شيئا عل الإطلاق بقدر ما هو أداء للسلوك بطريقة معينة.

4- سلوكية "رايل" تصبح بدورها على المحك تحت تأثيرات الوظيفية حيث اختزل العقل أو النفس في الدماغ ونشاطه العصبي أولا (نظرية الهوية) ثم تحول إلى مجرد آلة مبرمجة.

5- تطرح في راهنية أبحاث علوم الأعصاب مسألة المخ الذي يستبدل بالآلة التي أثبتت بأنها تستطيع أن تفكر في مختبر» آلان تيورينغ" بل وأن الوظيفية في ذروة جهودها وأبحاثها تكشف لنا أن ارتباط النفس بالدماغ، -كما طرح في النقطة السابقة- هي أضعف مقارنة بارتباط النفس بالآلة. وعندئذ تقول الآلة "أنا أفكر أنا موجود"، ويصبح بحثنا هذا لا يؤسس للإجابة عن ثنائية ديكارتية مقلوبة وإنما لثنائية "فودور " الجسم والآلة.

إن تجاوز القول الميتافزيقي اللاّهوتي بمخرجات علمية تقنية مُفترضة، هو نفسه إنتاج لميتافيزيقا غير ماورائية، أي إنتاج فلسفة تشبه الميتافيزيقا من حيث الأدوات والمصطلحات والقول الفلسفي، ولكنها لا تستعمل الثّنائيات الماورائية، وهنا لا يختلف رايل عن ديكارت، إذ هو يضع ثنائيات جديدة: دماغ / آلة بدل عقل/ نفس أو نفس/ جسد.

وسيتحول ذات يوم جيلبرت رايل إلى خرافة مثلما اتهم ديكارت، فالتقنية مهما أبدعنا في صنعها ستبقى دوما تحت مراقبة وتسيير الإنسان، إن أعظم ما في الإنسان هي نعمة الخيال، ويبدو أن رايل لم يستطع أن يستوعب أن الإنسان أكثر من كينونة متحركة، فهو الماضي والحاضر والمستقبل، بينما الالة تبقى دوما رهينة اللحظة التي هي عليها.

إن ديكارت كان ابن عصره، ولا بد حين نحاكمه فلسفيا أن نحاكمه بناءً على ثقافة عصره، فوقته لم تكن للألة سطوة ولا وجود يُذكر لها كما هو اليوم، ولم يكن الذكاء الاصطناعي مألوفا ولا مقبولا، فديكارت كان في عصر يجعل الإنسان مركز الكون.

مصادر جيلبرت رايل:

- Ryle, Gilbert ,(2002) **The Concept of Mind**, Chicago: University of Chicago Press. USA.

- ـــ, (2005) **la notion d'esprit**, (tra) Suzanne Stern Gillet, Payot , paris.

- ـــ, (2009) **the concept of mind**, rooteledge, London –new York, (s .ed).

- ـــ, 1961, **Use, Usage, and Meaning**, Blackwell publishing on behalf of Aristotelian society.

- ـــ, (1954)، **Dilemmas**, Cambridge at the university press, Oxford. First printed 1954. Reprinted by offset lithography at the university press, Oxford.

مراجع عامة

- Descartes. R, (1966), **Discours de la méthode**, Garnier – Flammarion, Paris.

- ـــ, (1994), **règle pour la direction de l'esprit**, J.sivren, Paris.

- ـــ (1964), Lettres, Textes choisis, Michel Alexander, puf, Paris.

- Searle.J, (1988), **les actes de langage**, Tra, Hélène pauchard, Herman,3 tirage, Paris.

- Russel .B, (1962), **Ma conception du monde**,(B.Russel speaks his mind), tra de l'anglais, louis Évrard, Gallimard, Paris.

-Engel. P, (1997), **La dispute, Une Introduction, á La philosophie Analytique, les** éditions de MINUIT.

-Missa, J .Noel, (1993), **Esprit – Cerveau**, la philosophie de l'esprit a la lumière de Neurosciences, J.Vrin.

-Gardner .Howard, (1993), **histoire de la révolution cognitive**, (la nouvelle science de l'esprit), (tra) jean louis petavin, payot,

- Pélissier .ALIN, (1995), **sciences cognitives**, textes fondateurs, puf, 1ed.

- Cassous Nogues Pierre, (2014), **Les rêves cybernétiques de Norbert weiner**, éditions de seuil, Paris.

Andreewsky Evelyne & Delorme Robert, (2006), **Seconde cybernétique** et complexite (Rencontres avec Heinz Von Forester) L'Harmattan, Paris.

المراجع باللغة العربية

إسماعيل صلاح، (2007)، **فلسفة العقل**، دار قباء الحديثة للنشر، (د ط)، القاهرة.

الباهي حسان، (2012)، **الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة** (حنكة الآلة أم حكمة العقل)، إفريقيا الشرق (د ط).

روبول آن، موشلار جاك، (2003)، **التداولية اليوم** ترجمة، سيف الدين دغفوسي، محمد الشيباني، دار الطليعة، ط1 بيروت.

الموسوعات والقواميس:

لالاند أندري، (2001)، **معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية**، المجلد الأول، تعريب خليل أحمد، منشورات عويدات ، ط 2 ،بيروت .

duzat Albert, (1971), **dictionnaire étymologique**, Librairie Larousse, 3ed, paris.